أسباب سقوط حكم المماليك في العراق عام ١٨٣١

الأستاذ المساعد الدكتور
حيدر صبري شاكر الخيقاني
جامعة كربلاء- كلية التربية للعلوم الإنسانية- قسم التاريخ
٢٠١٣

Abstract
The reasons for the fall of the Mamluks rule in Iraq 1831

This research dealt with the study of the most important reasons that led to the collapse of the rule of the Mamluks in Iraq. like the spread of plague in Baghdad and the death of thousands of people, The flooding which led to the death of many people, the Ottoman forces besieged to Baghdad. All these reasons led to the occupation of the Ottoman forces of the city of Baghdad and the fall of the Mamluks in Iraq
..

The search is composed of an introduction, three chapters, and conclusion
The introduction reflects the importance of the topic and the reasons behind the researcher's choice of the topic
Chapter One deals with The general conditions in Baghdad during(1817-1830) which includes the important Political and economical events in period Dawod Pasha, chapter two Looks into the ottoman government politics toward the Mamluks rule in Iraq, chapter three about All the causes which led to the fall mamluks rule of Iraq in 1831.

ملخص البحث:
أسباب سقوط حكم المماليك في العراق عام ١٨٣١

هذا البحث يبين الأسباب التي أدت إلى سقوط حكم المماليك في العراق عام (١٨٣١) موضحا أهم العوامل السياسية والاقتصادية والاجتماعية والطبيعية التي أدت الى ذلك. ومبينا الأسباب التي جعلت السلطان العثماني محمود الثاني يوجه حملة على بغداد للقضاء على الحكم المملوكي، وموقف داود باشا من ذلك، كما بين الظروف الصعبة التي عانى منها السكان أثناء حصار القوات العثمانية لمدينة بغداد، ومعاناتهم من مرض الطاعون، وتعرض بغداد الى الفيضان والمجاعة وفقدان الأمن. كما اوضح البحث دور تلك العوامل في إضعاف قوات داود باشا وعجزها عن مقاومة القوات العثمانية. فضلا عن ذلك فقد أوضح البحث، وبالتحليل العلمي الدقيق للوقائع التاريخية، الأسباب التي جعلت السلطان العثماني يعفو عن داود باشا ويقلده المناصب الرفيعة بالدولة من جهة، ويأمر بالقضاء على من تبقى من المماليك في العراق من جهة أخرى.
احتوى البحث على مقدمة وثلاثة محاور وخاتمة:
تناول المحور الأول دراسة الأوضاع العامة في بغداد تحت حكم داود باشا حتى عام (١٨٣٠)، بينما تطرق المحور الثاني إلى الإجراءات التي اتخذتها الحكومة العثمانية من اجل

السيطرة على بغداد في المدة(١٨٣٠-١٨٣١)، اما المحور الثالث فقد بين المقدمة:
شهدت مدة حكم المماليك في العراق(١٧٥٠-١٨٣١) العديد من الأحداث السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي تركت أثارها بشكل واضح على الأوضاع العامة في الولايات العراقية. وقد شهدت مدينة بغداد، التي تعد عاصمة ولاية بغداد رسميا طوال العهد المملوكي، في أواخر عهد المماليك أحداثاً عديدة كان لها أثرا كبيرا في سقوط الحكم المملوكي في العراق عام ١٨٣١. إذ عانى سكانها وحكومتها من تحديات سياسية واقتصادية وطبيعية صعبة ساهمت بشكل فعال في تدهور أوضاع المدينة وساعدت القوات العثمانية في السيطرة عليها. وأصبحت بغداد والولايات العراقية الأخرى، اثر ذلك، تابعة للحكم العثماني مباشرة. ونظرا لأهمية تلك الأحداث، ودورها في سقوط حكم المماليك في العراق، وأثارها على المدينة وسكانها، فقد تم اختيار موضوع البحث. لتسليط الضوء على الأوضاع التي شهدتها بغداد في عهد الوالي داود باشا(١٨١٧-١٨٣١)، أخر حكام المماليك في العراق، والأسباب التي جعلت الدولة العثمانية تقرر استعادة حكمها المباشر على بغداد، واهم الأحداث التي مرت بها مدينة بغداد أثناء الحصار الذي فرض عليها من قبل القوات العثمانية، ومنها انتشار مرض الطاعون، واجتياح مياه الفيضان للمدينة وحدوث المجاعة، وفقدان الأمن. كما أوضح البحث السياسة التي اتبعها علي رضا باشا اللاز، قائد القوات العثمانية التي سيطرت على بغداد.
احتوى البحث على مقدمة وثلاثة محاور وخاتمة.
تناول المحور الاول نبذة مختصرة عن الحكم المملوكي في العراق، مبينا ألأوضاع العامة في بغداد منذ تولي داود باشا ولاية بغداد عام(١٨١٧) وحتى عام (١٨٣٠). بينما تطرق المحور الثاني إلى الإجراءات التي اتخذتها الحكومة العثمانية من اجل إسقاط حكم المماليك في العراق. إما المحور الثالث والأخير فقد سلط الضوء على العوامل التي أدت إلى سيطرة القوات العثمانية على بغداد.
- الأوضاع العامة في بغداد منذ تولي داود باشا١ الحكم حتى عام ١٨٣٠
خضعت بغداد للحكم المملوكي خلال الفترة ما بين(١٧٥٠-١٨٣١) وأول حكام المماليك في بغداد هو سليمان اغا الملقب بـ" سليمان أبو ليلة". وقد استغل زعماء المماليك حالة عدم استقرار الأوضاع التي شهدتها بغداد بعد موت الوالي احمد باشا ابن حسن باشا عام ١٧٤٧ وسيطروا على الحكم في بغداد، فبعد موت الوالي المذكور أرسلت الحكومة العثمانية إلى بغداد أربعة ولاة تباعا خلال الفترة ما بين(١٧٤٧-١٧٤٩) ولم يستطع أي منهم السيطرة على أوضاع الولاية، وعلى اثر ذلك تمكن سليمان اغا، صهر الوالي احمد باشا، من السيطرة على بغداد عام ١٧٤٩، وطلب من الحكومة العثمانية الاعتراف به رسميا واليا على بغداد مقابل عدم خروجه عن سياستها. وفي العام التالي بعث السلطان العثماني مرسوم الولاية إلى سليمان الذي يعد أول حكام المماليك في العراق٢.
وكان والي بغداد في أوائل العهد المملوكي باشا من الدرجة الأولى(أي صاحب ثلاثة طوغات) ويتم تعيينه بفرمان خاص يصدر من السلطان العثماني مباشرة. الا ان هذا السياق لم يلتزم به المماليك فيما بعد، فقد كان يصل الى الولاية عادة من يستطيع ان يتغلب على منافسيه من اجل الحصول على المنصب. وكان المتنافسين على المنصب يقومون في الغالب بتقديم الرشاوى إلى كبار المسؤولين في الباب العالي، إضافة الى ذلك فقد كانت هناك طرق أخرى للحصول على الولاية ومنها ما يشهده السراي من مؤامرات، إضافة إلى دور العشائر وتدخل الدول الأجنبية من خلال سفرائها وقناصلها لدى الحكومة العثمانية

من اجل تعيين بعض الأشخاص ولاة. لذلك نلاحظ وبسبب تلك التأثيرات تحولت عملية تعيين الولاة من اسطمبول إلى بغداد، أي من الحكومة المركزية إلى القوى المحلية، والتأثيرات الخارجية في بعض الأحيان. وكان على من يتولى الولاية ان يرسل الأموال من الولاية التي يحكمها إلى الحكومة المركزية، بعد ان يقتطع منها ما تحتاجه الولاية من مال بما فيها مرتبه. وكان يساعد الوالي في الحكم ديوان"مجلس استشاري" يعقد في السراي(دار الحكومة) عادة كل يوم جمعة، أو في المناسبات العامة، وكان يضم الكتخدا، وأغا الانكشارية٣، والقاضي، والمفتي، إضافة إلى بعض موظفي الحكومة٤.

لم يشهد العراق تطورا اقتصاديا كبيرا في العهد المملوكي. وذلك لأسباب متعددة أهمها عدم استقرار الأوضاع الداخلية فيه، ولا سيما السياسية منها، بسبب الصراع الذي كان يحدث بين زعماء المماليك على السلطة. إضافة إلى تعرضه لهجمات من قبل بعض القوى الخارجية، ولا سيما من حكام بلاد فارس والوهابيين بعد ظهورهم في نجد والحجاز، فضلا عن انتفاضات العشائر المتكررة على الحكومة، وحدوث الفيضانات وانتشار الأمراض بين السكان. كما كان لتخلف طرق ووسائل الزراعة والري في البلاد أثرا على قلة الإنتاج. فضلا عن عدم ارتباط ولايات العراق بعلاقات تجارية مستقرة مع دول ومناطق تساعد على نمو اقتصاده٥.

تولى داود باشا الحكم في العراق عام ١٨١٧ وكان قبل توليه الحكم يعمل كتخدا عند صهره الوالي سعيد باشا، الذي تولى على بغداد خلال الفترة ما بين (١٨١٣-١٨١٧)، لكنه لم يستمر طويلا بهذا المنصب، لان سعيد باشا كان يخشى على منصبه من نفوذ داود باشا وقوة شخصيته وكثرة أتباعه. فضلا عن معرفته الجيدة بشؤون الإدارة والحكم، في الوقت الذي كان فيه سعيد باشا يفتقر لذلك، فقد نجح داود باشا ان يكوّن له شعبية كبيرة بين أهالي بغداد، أثناء عمله كتخدا للوالي، في الوقت الذي كان فيه سعيد باشا ليس لديه مثل تلك الشعبية، ولا يحسن تدبير أمور الولاية، وينفق المال العام على ملذاته الشخصية حتى انه أصبح عاجزا عن توفير أموال رواتب جنوده. كما كانت لوالدته سطوة كبيرة عليه وهذه الحالة جعلت الكثيرين يرغبون بتنحيته عن الحكم. وأصبحت الأنظار تتجه نحو داود باشا. وقد خشي سعيد باشا من النفوذ الذي أصبح عليه داود باشا، وشاور أتباعه من اجل الحد من نفوذه وأشاروا عليه بقتله. وعندما وصلت تلك الأخبار إلى داود قرر الخروج من بغداد مع بعض أتباعه، بحجة الذهاب إلى الصيد، واتجه الى كركوك ومن هناك راسل السلطان العثماني محمود الثاني٦ وابلغه بسوء حكم سعيد باشا، وطلب منه منحه الولاية. وكان احد أصدقاء داود باشا في اسطمبول وهو من المقربين للسلطان ويدعى "حالت أفندي" قد حث السلطان على منح الولاية إلى داود فأصدر السلطان فرمان بذلك مما جعل داود باشا يجمع أنصاره ويتجه نحو بغداد ويسيطر على الحكم ببغداد عام ١٨١٧ بعد ان قام أتباعه بقتل سعيد باشا٧.

اعتمد داود باشا في تدريب قواته على احد الضباط الفرنسيين الذي كان في السابق يعمل بخدمة الإمبراطور نابليون الأول٨ كما كلف احد الضباط البريطانيين، وكان مقيما في بغداد، بقيادة كتيبة من الخيالة. واهتم بتزويد جيشه بأسلحة حديثة. وأرسل إلى الإدارة البريطانية في الهند لتزويد قواته ببعض الأسلحة، الا أنها رفضت ذلك خشية من استخدامها ضد الحكومة العثمانية عند حدوث خلاف بين الوالي والسلطان، وهذا سيؤدي الى توتر في العلاقات البريطانية العثمانية، في الوقت الذي كانت فيه الحكومة البريطانية حريصة على إبقاء علاقاتها جيدة مع الباب

العالي. وعلى ذلك الأساس رفض البريطانيون تلبية طلب داود باشا. وإزاء ذلك قام داود باشا باستيراد بعض المعامل لصنع بعض المعدات التي تحتاجها قواته، كما استورد بعض المعدات الأخرى التي زود بها جيشه. وقد بلغ قوام الجيش النظامي الذي كونه حوالي(١٠٠٠٠) مقاتل٩.

حرص داود باشا على كسب الأهالي والوجهاء ورجال الدين إلى جانب حكومته فأخذ يتقرب إلى الصوفية وأرباب الطرق ودفع لزعيم الصوفية "الشيخ خالد النقشبندي" مبلغاً قدره(٣٠.٠٠٠) ليرة ذهبية، عندما ابلغ انه مدين الى احد الأشخاص بذلك المبلغ وعاجز على تسديده. وقد كانت للطرق الصوفية أهميتها وكيانها وسطوتها الروحية على الكثير من أهالي بغداد، مما جعل أتباع الطرق يمتدحون داود باشا ويثنون على مواقفه تجاههم١٠، وكان لكل حرفة في بغداد زعيم فكان الشاهبندر على رأس التجار، والصراف باشي على رأس الصرافين، ونقيب الأشراف هو من يشرف على طائفة الأشراف في بغداد وكان لهؤلاء الزعماء قدرة على توجيه الأهالي عن طريق أتباعهم إلى جانب الوالي أو ضده لذلك حرص داود باشا على كسب رضا هؤلاء الزعماء وأقام معهم علاقات جيدة وتقرب من أئمة الجوامع وخطبائها وكسب رضاهم عنه بسبب قدرتهم على توجيه الرأي العام لذلك نلاحظ ان أهالي بغداد وقفوا معه فيما بعد عندما توجهت قوات علي رضا باشا نحو بغداد١١.

إضافة إلى ذلك اهتم داود باشا بعمارة بغداد وأمر ببناء العديد من المساجد وعمر مساجد أخرى وكانت من بين تلك المساجد الجامع المعروف بالمولى خانة، وجامع الحيدر خانة الذي يقع حاليا في شارع الرشيد، وجامع الازبك الذي يقع حاليا في منطقة باب المعظم . كما أولى داود باشا اهتماما كبيرا بالعلم والمعرفة وأمر ببناء العديد من المدارس حتى بلغت في عهده (٢٨) مدرسة وجلب لها المعلمين من مختلف أنحاء البلاد وجعل لكل مدرسة معلماً مقيماً بها، ووفر لكل معلم مكاناً للسكن بداخل المدرسة وخصص لهم رواتباً من دخل الولاية. وأهم المدارس التي تأسست في عهده هي "مدرسة داود باشا" و "مدرسة علي باشا"و " العادلية" و "السليمانية" ١٢، و"الأحمدية" و"القادرية" و"الاعظمية" و"بنت النقيب"، كما انشأ أماكن خاصة للتعليم في بعض الجوامع مثل جامع الخلفاء وجامع الشيخ شهاب الدين وجامع حسين باشا١٣.

كان داود باشا على استعداد للدفاع عن بغداد والمدن العراقية الأخرى تجاه الأطماع الخارجية ولاسيما من بلاد فارس. وقد خولته الدولة العثمانية بقيادة قواته ضد القوات الفارسية عندما ابلغها بأنه علم بتوجه حملة فارسية لمهاجمة بغداد. وعلى الرغم من نجاح قوات تلك الحملة بالدخول إلى الأراضي العراقية والوصول بالقرب مدينة الخالص الا ان المواجهة بين الطرفين لم تحدث بسبب تراجع تلك الحملة الى بلاد فارس اثر انتشار مرض الكوليرا بين صفوف المقاتلين١٤.

وأهم الأعمال التي قام بها داود باشا في مجال الزراعة والري هي حفر وتنظيف نهر النيل الذي كان قد اندثر وهو من الأنهر الصغيرة الذي يأخذ المياه من نهر الفرات قرب الحلة وقد عمل بحفر النهر وتنظيفه حوالي(٥٠٠٠) عامل وقد انتهى العمل به عام ١٨٢٦. كما اهتم بالجانب الصناعي وأسس مصانع للمنسوجات القطنية والجوخ وكان الجوخ من السلع التي يتنافس التجار البريطانيون والفرنسيون من اجل بيعها في أسواق المدن العراقية وعلى الرغم من ان أنتاج مصانع الجوخ كان يذهب في الغالب لسد حاجة الجيش الذي كونه داود باشا الا ان نسبة منه تذهب إلى الأسواق كما اهتم ببناء مصنع للبنادق ولأجل تحقيق ذلك جلب الخبراء من أوربا إضافة إلى بعض

الأدوات اللازمة لبناء مصنع الأسلحة ١٥.

ونشطت التجارة في عهده بشكل واضح بالنسبة لما كانت عليه في عهد الولاة الذين سبقوه بالحكم في بغداد وكانت هناك العديد من القوافل التجارية التي تدخل إلى بغداد من التبت وقندهار وإيران محملة بمختلف السلع، بما فيها الفواكه والتبغ. وكانت بعض تلك السلع يتم تصديرها إلى خارج ولاية بغداد بعد شرائها من تلك القوافل التجارية ومنها على سبيل المثال التبغ الذي يصدر إلى حلب ودمشق واسطمبول. وعلى الرغم من ان التبغ كان يزرع في أطراف بغداد الا انه لا يصدر الا بكميات قليلة لان جودته اقل بكثير من التبغ الأجنبي الذي يتم شرائه من القوافل التجارية. فضلا عن ذلك فأن هناك العديد من القوافل التجارية تأتي إلى بغداد من زهاب والسليمانية وكركوك وديار بكر وحلب واورفة وماردين وهذه القوافل تلتقي عادة في بغداد وتتم عمليات التبادل التجاري بين تجارها وبين التجار المحليين. وكانت بعض السلع التي تأتي بها القوافل القادمة من الشام من السلع الجيدة والتي تلاقي طلبا عليها في بغداد من قبل الميسورين كون صناعة معظمها في أوربا وتنقل إلى بلاد الشام بواسطة الطرق البحرية ومنها إلى بغداد. وقد بلغت قيمة منتجات الولايات العراقية في العقد الثاني من القرن التاسع عشر (٣٥٠.٠٠٠) قرش، على الرغم من عدم اهتمام الولاة الذين سبقوا داود باشا بالحكم بوسائل تنمية الإنتاج الاقتصادي ١٦.

كانت الحكومة العثمانية في بغداد تأخذ ضرائب على قيمة شحن البضائع المصدرة من المدن العراقية، فعلى سبيل المثال قيمة الضريبة على البضائع المصدرة إلى البنغال تساوي(٤%) من قيمة البضاعة، و(٣%) بالنسبة للبضائع المصدرة إلى بومباي، و(٢%) الى مسقط، و(١%) الى بوشهر. وكانت هناك أنواع عدة من البضائع والسلع التي تصدر من المدن العراقية. ومن بينها الخيول التي يجرى تربيتها عادة في عموم المدن العراقية ولا سيما في المناطق القريبة من بغداد، ولكن الحكومة العثمانية في اسطمبول منعت تصديرها لأنها أدركت ضرورة توفرها بكثرة تحسبا للحاجة إليها في زمن الحرب. الا ان عملية تصديرها من المدن العراقية لم تتوقف حتى بعد إصدار التعليمات المذكورة، كون المتاجرة بها تدر أرباح جيدة على والي بغداد، وكبار الموظفين العثمانيين ومنهم متسلم البصرة. علما ان عدد الخيول التي تصدر من البصرة سنويا آنذاك بلغ حوالي(١٥٠٠) حصان. ومعظمها يصدر إلى الهند. اما التمور العراقية فهي من السلع التي زاد الطلب عليها من التجار الأجانب. وأخذ التجار يصدرونها عبر الخليج العربي الى العديد من الدول ومنها بلاد فارس والهند ومسقط. وقد قدر عدد السفن التي تصل الى البصرة سنويا بحوالي (٢٥٠) سفينة، تسع كل واحد منها حوالي(٦٠) طنا، وقبيل عودتها الى الدول التي قدمت منها، تحمل تلك السفن بالمنتجات والسلع العراقية. اما نسبة الضرائب التي تفرضها الحكومة على تلك السلع والبضائع المصدرة فقد كانت متباينة وعلى سبيل المثال حددت الحكومة ضريبة بنسبة(٣%) من قيمة المواد والسلع التي تصدر الى الهند. وذلك استنادا الى الاتفاقيات التي عقدها ولاة بغداد، الذين سبقوا داود باشا بالحكم، مع الإدارة البريطانية في الهند. الا ان تحصيل تلك الضريبة في كثير من الحالات لا يتم بشكل سليم، بسبب منح الحكومة العثمانية بعض الامتيازات للتجار البريطانيين في العراق وعلى سبيل المثال ان التجار البريطانيين في عهد الوالي سعيد باشا لا يدفعون تلك الضريبة حسب قيمتها بسبب تساهل الوالي معهم١٧.

وفي عهد داود باشا كانت بغداد تتسم بشوارعها الضيقة التي تتخلل إحيائها، وكانت بيوت البغداديين الصغيرة على جوانب تلك الشوارع وهي متشابهة في بنائها غير المتسق ومعظمها مبني من الطوب المحروق. وكان بعض تلك البيوت يتكون من طابقين وبعض البيوت يوجد في وسطها باحة يتوسطها في الغالب نخلة أو أكثر وكان بعض البيوت يحتوي على فنائين احدهما به حديقة الى جانب جناح خاص للحريم. وكانت معظم تلك البيوت تحتوي على سراديب يلجأ اليها سكان المنزل عند ارتفاع درجات الحرارة في الصيف عند النهار، كون درجة الحرارة داخل السرداب تكون اقل من خارجه. اما في الليل فينام معظم الأهالي فوق سطوح منازلهم. ويوجد في وسط بغداد منطقة تدعى (الميدان) وهي مكان متسع حوله مباني تعود الى أصحاب الثروات وكبار الموظفين. وكان بالقرب من الميدان بعض أماكن التسلية والترفيه التي يقصدها بعض سكان المدينة. كما كانت تنتشر في أحياء بغداد العديد من الحمامات، وقدر عددها في عهد داود باشا بـ(٥٠) حماما الا ان عددها انخفض إلى النصف فيما بعد بسبب الأوضاع التي مرت بالمدينة والتي أدت إلى انخفاض عدد سكانها. كما كانت في بغداد العديد من الخانات التي يقصدها المسافرين وبجوارها بعض الحوانيت التي تبيع بعض المواد الغذائية والسلع الضرورية الأخرى. واهتم داود باشا بإنشاء المتنزهات والحدائق العامة في بغداد ومنها على سبيل المثال "بستان يوسف" الذي أطلق عليه هذا الاسم نسبة الى ولده يوسف١٨.

واهتم داود باشا بالسراي الذي يعد مركز حكم الوالي في الولاية فقد قام بتجديد بناءه وأمر بتوسيعه وشيد على يسار مدخله برجا وقام بتزيينه من الداخل. وكان يتواجد في السراي الموظفين مثل المسؤول عن الأسلحة (السلحدار)، والمسؤول عن الإسطبل (الميراخور)، ورئيس البوابين (القبوجيلر كتخدا)، وحامل الختم (المهردار)، وكبير الخدم (القوشجي باشي) ، والمسؤول عن حجرات القصر (اوطه جي ياشي) وكان بعض الخدم مختص بتقديم الحلوى والبعض الأخر يقدم القهوة للضيوف. ويعد السراي في عهد داود باشا من اهم البنايات الرسمية في المدينة. وكان الديوان يعقد كل يوم جمعة او في المناسبات العامة١٩.

اتسم الأمن ببغداد، في معظم سنوات حكم داود باشا، بالاستقرار بفضل بسط قوات الحكومة سلطتها وعند قيام أي شخص بما يخالف القانون كان يحال الى القاضي ليتم الحكم عليه. وكان المجتمع البغدادي يتألف من ثلاث طبقات رئيسة الأولى هي الطبقة الحاكمة وتضم كبار أغوات المماليك، والثانية المتوسطة وتضم الموظفين والصرافين والمشايخ والأئمة وكبار التجار، والثالثة هي الطبقة العامة٢٠.

- الإجراءات التي اتخذتها الحكومة العثمانية للسيطرة على بغداد (١٨٣٠-١٨٣١)

شهدت الدولة العثمانية في عهد السلطان محمود الثاني العديد من الأزمات والانتفاضات والحركات الانفصالية، فضلا عن الأطماع الأجنبية الاستعمارية في أراضيها وحالات الصراع الإقليمي التي ظهرت في مصر والحجاز٢١. ولأجل معالجة هذا الوضع قرر السلطان توطيد سلطة الدولة في الولايات العثمانية. وعمل على وضع خطة للقضاء على كافة المعوقات التي تعترض تحقيق أهدافه ومنها القضاء على نفوذ الانكشارية وعلى حكم المماليك، ونجح السلطان في كسب رجال الدين إلى مشروعه الإصلاحي لكي يبرر شرعيا الأعمال التي قرر اتخاذها٢٢. ومنح السلطان المناصب الرئيسة في الدولة إلى رجال مخلصين له، لذلك تمكن من القيام بالعديد من الإصلاحات ومنها القضاء على

الانكشارية، وتأسيس جيش نظامي جديد، وإعادة الحكم العثماني المباشر على العديد من الولايات العثمانية التي حاولت الخروج عن السلطة المركزية٢٣. ولقد كان للجيش الجديد الذي أسسه السلطان دورا كبيرا في فرض سيطرة الدولة على تلك الولايات. ومن الملاحظ ان إصلاحات محمود الثاني لم تتوقف عند أعادة سلطة الحكومة على بعض الولايات، بل امتدت لتشمل وضع أسس تنظيمات جديدة ومنها على سبيل المثال ما ورد في (مرسوم خط شريف كولخانة) الذي تم إصداره عام ١٨٣٩، بعد موت السلطان محمود الثاني بوقت قصير٢٤. وقد تضمن المرسوم المذكور العديد من القوانين التي اهتمت بحقوق الأفراد في الدولة بما فيهم من غير المسلمين٢٥.

وعندما اندلعت الحرب العثمانية-الروسية (١٨٢٨-١٨٢٩) اعلنت الحكومة العثمانية النفير العام وطالبت الولاة العثمانيين بتقديم الدعم لها ضد الروس. الا ان داود باشا تقاعس عن ذلك وتخلى عن السلطان في الوضع الصعب الذي كانت تمر به الدولة. ولعل داود باشا كان يعتقد، حاله حال والي مصر محمد علي باشا، بأن الدولة العثمانية ضعيفة وعاجزة عن النهوض وأن القوة الفتية تظهر من الولايات وليس من السلطة المركزية في اسطمبول٢٦، قد فرض على كل والي تقديم مبلغ معين نيابة عن ولايته دعما لخزينة الدولة لسد تكاليف الحرب. وكان المبلغ المفروض على داود باشا ستة ألاف كيس من الذهب، وكان الكيس الواحد يساوي آنذاك عشرة آلاف قرش، الا ان داود باشا لم يستجب لطلب السلطان وكان ذلك من الأسباب التي جعلت السلطان يسعى إلى عزله وإنهاء حكم المماليك في العراق٢٧.

ومن الملاحظ ان علاقة داود باشا مع السلطان محمود الثاني كانت علاقة جيدة حتى ان السلطان أهدى له عام ١٨٢٠ خمسة عشر مدفعا. ولكن رغبة داود بالاستقلال عن الدولة العثمانية وعدم تلبية مطالب السلطان جعلت الأخير يسعى إلى عزله عن الحكم. وفي عام ١٨٣٠ أرسل السلطان احد مساعديه المدعو "صادق أفندي" إلى داود باشا يبلغه بعزله، وفي طريقه إلى بغداد استقبل صادق أفندي في الموصل من قبل واليها "يحيى باشا" الذي ابلغه عن قسوة داود باشا " وبكل ما يشينه ويوغر صدره عليه". وعندما وصل صادق أفندي إلى بغداد خالف العرف الذي كان يتقيد به المبعوثين الرسميين من اسطمبول إلى بغداد ولم يتوقف في الاعظمية للمبيت فيها وزيارة مرقد الإمام أبي حنيفة قبل الدخول إلى بغداد بصورة رسمية. كما تجاهل الاستقبال الفخم الذي أعده له داود باشا وتحاشى زيارته، على الرغم من إبلاغه بأن الوالي بانتظاره في السراي، وفي اليوم التالي التقى معه في الديوان وقد تم استقباله رسميا ولكن داود باشا اظهر فتورا ملحوظا في مقابلته وتعمد التثاقل في القيام له. وعلى الرغم من ذلك فقد تم تبادل معه التحيات الرسمية بينهما. الا انه لم يكشف صادق أفندي الى الوالي عن الغرض الذي جاء من اجله، وفي المقابلة الثانية التي جرت بينهما لم يتطرق صادق أفندي أيضا إلى سبب قدومه ولم يبين مطالبه، لكنه أوضح هذا الأمر في المقابلة الثالثة. وابلغ داود بأنه مكلف من السلطان بتنحيته عن الحكم وتعيين شخص أخر مكانه. ولكن داود باشا لم يستجب لتلك الأوامر. لذلك حاول صادق أفندي التعاون مع احد زعماء المماليك ويدعى "سليمان اغا الميراخور" وطلب منه قتل داود باعتباره متمرد على السلطان ووعده بأنه سيوليه مكانه اذا ما قام بتلك المهمة. الا ان سليمان أغا ابلغ داود بما عرضه عليه صادق أفندي وعلى اثر ذلك شاور داود أتباعه في الإجراء المطلوب اتخاذه بحق صادق أفندي وتقرر قتله وتم ذلك وبعث داود باشا برسالة إلى السلطان

العثماني يبلغه بوفاة مبعوثه بسبب إصابته بمرض الكوليرا مما جعل السلطان يتذمر من المصير الذي حل بمبعوثه وقرر السيطرة على بغداد بالقوة٢٨.

قرر السلطان محمود الثاني بعد معرفته بمقتل صادق افندي، في ١٩ تشرين الاول ١٨٣٠، توجيه حملة عسكرية للقضاء على حكم المماليك في العراق، ووقع اختياره على والي حلب علي رضا باشا اللاز٢٩ لقيادة تلك الحملة، واسند إليه ولاية بغداد وديار بكر والموصل بالإضافة إلى ولاية حلب. وتوجهت الحملة من الشام نحو بغداد وانضم إليها "قاسم العمري" الذي كان واليا على الموصل إضافة إلى بعض زعماء المماليك وبعض أبناء العشائر ولاسيما من عشيرة شمر الجربا وعشيرة عقيل وكان رجال هاتين العشيرتين من الرجال المعروفين بحزمهم في المعارك٣٠.

وقد ضمت قوات علي رضا باشا اللاز التي تقرر إرسالها إلى بغداد كتيبة من (٣٠٠) مقاتل من ولاية حلب، وأرسلت الحكومة العثمانية الصدر الأعظم السابق "سليم محمد باشا" على رأس قوة عسكرية إلى حلب بعد ان تم تعيينه قائدا الى الفيلق الثاني وذلك بهدف مساندة الحملة. وعندما علم داود باشا بتلك الإجراءات قام بتوزيع قواته على المواقع الإستراتيجية في بغداد استعدادا لخوض المعركة٣١. الا ان الأوضاع التي عانى منها الأهالي وقوات داود باشا تحت ظل حصار القوات العثمانية جعلت المدينة تسقط بيد تلك القوات كما سنتطرق الى ذلك في المحور الثالث من هذا البحث.

- العوامل التي أدت إلى سيطرة القوات العثمانية على بغداد

بينما كانت قوات داود باشا البالغ عددها حوالي(١٠٠٠٠) مقاتل تستعد لمواجهة القوات العثمانية انتشر مرض الطاعون في بغداد وذلك في أيلول ١٨٣٠. وكان قبل انتقاله إلى بغداد قد انتشر في كركوك. وقد شعر داود باشا بخطورة الوضع الذي أصبح عليه وحاول معالجة المرض واستعان بالمقيم السياسي البريطاني في بغداد روبرت تايلور Robert Taylor وطلب منه ان يرشده إلى الأساليب الحديثة في مقاومة الطاعون الا ان الإجراءات التي اتخذت لم تمنع المرض من الانتشار بين أهالي المدينة. واشتدت وطأة المرض بسرعة وازداد عدد الضحايا مما جعل الأهالي يتسارعون في مغادرة المدينة خشية من إصابتهم بالمرض، الا ان قطاع الطرق كانوا يتعرضون للأهالي الفارين من المدينة ويسلبون ما بحوزتهم من أشياء ثمينة، كانوا قد نقلوها معهم عند مغادرتهم لبيوتهم٣٢.

قام بعض وجهاء مدينة بغداد اثر الأوضاع الصعبة التي عانى منها الأهالي بمراسلة علي رضا باشا وابلغوه عن استعدادهم للسماح لقواته بدخول المدينة على ان يمنح الأهالي الأمان. ووافق على ذلك وأرسل قاسم العمري مندوبا عنه لاستلام المدينة. وعندما دخل العمري الى بغداد طالب بتسليمه داود باشا، وكان يضمر له العداوة والكراهية، وبما ان وجهاء المدينة قد تعهدوا إلى داود باشا بالمحافظة على حياته فأنهم رفضوا طلب العمري وعندما أدركوا نوايا العمري ورغبته بالتخلص من داود باشا حثوا أتباعهم على مهاجمته، وقد تم ذلك وقتل العمري. وأعلن الأهالي رفضهم لاستقبال علي رضا باشا وبعثوا برسالة إلى السلطان العثماني طالبوه فيها بالإبقاء على داود باشا واليا على بغداد٣٣.

استعدت قوات داود باشا، وبدعم من الأهالي، إلى مقاومة قوات علي رضا باشا وأسندت قيادة المقاومة إلى الضابط الفرنسي ديفو Deveaux الذي كان يتولى تدريب قوات داود باشا. وكان أهالي المدينة يعتقدون ان السلطان العثماني سوف يوافق على مطالبهم لأنهم توقعوا انه لم يكن على استعداد للتضحية

بولاية بغداد من اجل دعم علي رضا باشا، فضلا عن ذلك فقد ابلغوه بالرسالة التي بعثوا بها إليه بأنهم سيدفعون للدولة ألف كيس خدمة للخزانة السلطانية وتعهدوا له بمضاعفة المبلغ المفروض على ولاية بغداد للحكومة المركزية من (٢٠٠٠) كيس إلى (٤٠٠٠) كيس سنويا، وإنهم سيزيدونها كل عام (١٠٠٠) كيس حتى تصل إلى (١٠٠٠٠) كيس. فضلا عن تعهدهم بدفع جميع الأموال التي أنفقت على حملة علي رضا باشا مقابل الموافقة على مطالبهم. وقد لاقت تلك العروض ارتياحا من قبل بعض أعضاء الحكومة العثمانية الذين أدركوا ان مهمة علي رضا باشا سوف لن تكن سهلة، لذلك وجهت الحكومة العثمانية تعليماتها إلى علي رضا باشا وأبلغته بأن يدير الأمور بحكمة، وإذا ما وجد صعوبة في السيطرة على المدينة فعليه التراجع. وقد تم إبلاغه بمضمون الالتماس الذي بعث به وجهاء بغداد للسلطان٣٤.

اخذ الطاعون ينتشر بشكل سريع في المدينة ويذكر الرحالة البريطاني جيمس بايلي فريزر James Baillie Fraser (١٧٨٣-١٨٥٦) ان أول المناطق التي انتشر فيها الطاعون في بغداد هي محلة اليهود٣٥ قبل غيرها من مناطق المدينة٣٦. ففي أوائل نيسان ١٨٣١ اشتدت وطأة الوباء بسرعة وبدأت الأعمال تتوقف في المدينة وأخذ الأهالي يفرون منها إلى الخارج، كما تراجعت بعض القوافل التجارية التي قصدت المدينة عن دخولها، وأخذت أعداد الوفيات تزداد بسرعة كبيرة ففي الأيام الثلاثة الأولى من شهر نيسان قدر عدد الذين ماتوا بسبب المرض(١٥٠) شخص وبعد حوالي أسبوعين من ذلك بلغ عدد الذين ماتوا في ضاحية الكرخ(٧٠٠٠) شخص. وكان الهاربين الى خارج المدينة يتعرضون إلى قطاع الطرق واللصوص الذين يسلبونهم ما يحملونه من أموال وحلي وأشياء ثمينة أخرى نقلوها معهم عند خروجهم من بيوتهم، كما ذكرنا ذلك سابقاً، واستمر عدد الوفيات يزداد بين الأهالي ففي ١١ نيسان من العام نفسه بلغ عدد الوفيات(١٢٠٠) شخص وفي أواخر الشهر ذاته أصبح معدل الوفيات اليومي بسبب المرض يتراوح ما بين(١٥٠٠-٣٠٠٠) شخص٣٧. وعلى اثر ذلك انتشرت الجثث في الشوارع لان المتبقين من الأهالي في المدينة كانوا غير قادرين على دفن كل الأعداد المتزايدة من الجثث. وأقفرت الطرق من المارة وخشي كل شخص على نفسه من الآخرين لكي لا يصاب بالعدوى. وانقطعت المياه الصالحة للشرب من الوصول إلى المنازل لان الذين كانوا يقومون بنقلها مات معظمهم، وغادر المدينة من تبقى منهم على قيد الحياة. وفي ٢١ نيسان ١٨٣١ اجتاحت مياه نهر دجلة المدينة وأدت الى غرق حوالي(٧٠٠٠) منزل وقد مات العديد من الأهالي الذين كانوا يحتضرون في منازلهم بسبب الفيضان. وأدى الفيضان إلى سرعة تفشي الأمراض بين الأهالي٣٨.

ويصف الرحالة البريطاني جيمس ريموند ولستيد James Raymond Wellsted(١٨٠٥-١٨٤٢) الذي كان في بغداد آنذاك تلك الأحداث بقوله: ((لقد راح-الطاعون- يواصل مسيرته المهلكة المريعة من قرية الى قرية فيطغى-مثل لجة الطوفان- على كل الحياة التي تقع تحت وطأة تقدمه المميت... لقد راحوا-الأهالي- يحدقون بأبصارهم وكأنهم قد استيقظوا ألان من حلم مرعب. لا بد لهم ان يهربوا ولكن الى اين؟ الى الصحراء؟ الى البدو يختبئون هناك وبكل منعطف لكي يسلبوا ويدمروا أولئك الذين يحاولون مغادرة المدينة، وهم يحملون معهم أشياءهم الثمينة! أيتوجهون إلى النهر؟ لقد أصبح كل زورق مزدحم بالناس، والمرض يتعقبهم وهم في فرارهم هذا. لقد مكث

الورعون والمتعصبون في المدينة، وذلك إطاعة لأيمانهم بقوانين القضاء والقدر التي لا تتغير... وهم ينتظرون وقوع ما هو أسوأ وأمر. غير ان المقيم البريطاني روبرت تايلور وألارمن، وغيرهم من المسيحيين لم يكونوا على هذه الشاكلة... فقد اتخذوا هؤلاء كل إجراء ممكن لوقف تقدم الوباء. فقد حول كل بيت إلى مخزن لمواد المعيشة، وسدت أبواب المنازل وأحكم إغلاق النوافذ وتحصينها، وأعطي الخيار لأولئك الذين اختاروا هذا الوضع إما ان يشاركوا الناس في مجلسهم هذا، أو ان يخرجوا ويقصدون الحصول على ضروريات الحياة فأن كل ما بقي لهؤلاء من اتصال، كان مع جيرانهم. فقد كان يتم تغطيس كل هذه الأشياء الضرورية بالماء أول الأمر، ومن ثم ترفع بحبل إلى جدران البيت. ومع ذلك فأن احتياطاتهم هذه لم تبرهن على جدواها في أية مناسبة)) ٣٩.

ومن خلال المعلومات التي أوردها ولستيد في مذكراته عن الموضوع فأن حكومة بغداد لم تتخذ الإجراءات الاحترازية الجيدة للحد من المرض في الأيام الأولى لانتشاره في المدينة. وحول ذلك يقول: ((ولقد حاولت هيئاتنا الدبلوماسية عبثا حمل الباشا على إنشاء محجر صحي، أو اتخاذ الإجراءات الاحتياطية الأخرى. ولكن الباشا كان يقنع نفسه بجواب مخالف لرسائلنا... ولقد أحسنت الحكومة صنعا في تنفيذ ومقاومة الإشاعات التي أخذت تنتشر عن هذه الوفيات، ولكنها لم تفعل أكثر من ذلك. وما خلا أعمال دفن الموتى التي غدت متعددة في الحال، وبكاء النساء المستمر للمتوفين، فلا يوجد أي شيء من شأنه ان يذكر الغريب، بأن ذلك الأمر المتميز بأهمية غير اعتيادية، يمر ألان من حواليه، ذلك لان الأسواق ما تزال تتلقى تجهيزاتها المعتادة، والمقاهي تعج بالجالسين فيها، والنساء يواصلن تعقب أشغالهن الاعتيادية)) ٤٠.

ثم يتطرق إلى سرعة انتشار المرض وارتفاع عدد الوفيات في المدينة واستمرار خروج الناس منها بقوله: ((وأخيرا وصل الطاعون إلى المحلة التي كنت أقيم فيها. كانت الدار التي كنت اسكنها أكثر ارتفاعا من الدور المحيطة بها، ولذلك فقد توفرت لدي الفرصة لمراقبة سرعة انتشار الوباء لقد خف بالتدريج عدد أولئك الذين كانوا يثقلون السقوف بفراشهم أول الأمر. ففي بيت واحد تناقص عدد سكانه، خلال ثلاثة أسابيع، من خمسة وعشرين نفرا، الى ستة أنفار حسب، وسرعان ما اختفي هؤلاء أيضا ولم أكن اعرف هل كان سبب اختفائهم هو الموت ام الهرب ... وندب الموتى الذي كان قبل يملأ الجو بلا انقطاع، قد خمد ألان، وتحول إلى صمت وهدوء مخيفين، ذلك ان الموتى تركوا بلا دفن في كل مكان)) ٤١. وهذا يعطينا صورة واضحة عن المأساة التي حلت بأهالي بغداد بسبب الطاعون وتناقص أعداد سكان المدينة بسبب موت البعض منهم ومغادرة البعض الأخر.

استغل بعض اللصوص الأوضاع المزرية التي كانت تعيشها المدينة وقاموا بسرقة المنازل بل قاموا أيضا بقتل الأهالي المتواجدين فيها والى ذلك يؤكد ولستيد: ((كانت هذه العصابات تتجول من بيت الى أخر، تنهب ما فيه وتقتل الأحياء ان كان ذلك ضروريا. فعملية الموت التي تعهد الطاعون بتنفيذ النصف منها، قد أكملت ألان بأفعال هؤلاء الأشرار... والظاهر ان كل إحساس خلقي قد تبدد. فقد كان كل مجرم يتمشى في الخارج وهو يتصيد ضحاياه علانية، ويستكمل انتقامه الذي ربما كان يفكر فيه من سنين. لقد انطلق كل عنف شرير في طبيعة الإنسان دون ان يكبحه كابح)) ٤٢. وهذا يبين لنا انتشار الجريمة داخل المدينة على يد اللصوص والقتلة. ثم يروي قصة ابلغه بها احد أصدقائه البغداديين المدعو مصطفى أغا الذي كان مصابا بالطاعون كيف ان اللصوص هاجموا بيته وقتلوا زوجته التي كانت

على قيد الحياة من بين أفراد العائلة، الذين كانت جثثهم ما تزال بالمنزل، أمام عينيه دون أن يحرك ساكنا بسبب إصابته بالمرض، وقد قاموا بقتل زوجته من اجل سرقة بعض محتويات المنزل فقط. وحول انتشار المرض بين عموم الناس وأوضاع من بقى في المدينة يقول ولستيد: ((لاحظت ان المرض في هذه الحالة لم يحترم الأشخاص ولا الأعمار. فالشباب والكهول، والفاتنين والقبيحين، والمرضى والأصحاء، كل هؤلاء قد ضربهم المرض))٤٣. ومن ذلك نلاحظ مدى سرعة انتشار المرض بين عموم الأهالي بغض النظر عن أعمارهم ومستواهم الاجتماعي.

ويذكر ولستيد في مذكراته عن الفيضان الذي أصاب المدينة في ٢١ نيسان ١٨٣١ بسبب غزارة الأمطار في الشهر المذكور ويقول: ((وقعت أمطار غزيرة، وظل الجو داكنا ملبدا بالغيوم. وهكذا أصبحت الشوارع، وهي غير معبدة، ملئ بالأوحال. بحيث أصبح السير فيها مستحيلا تقريبا وفي ليلة العشرين من الشهر، وكان حوض النهر قد امتلأ بالماء سريعا، تهدمت ضفاف النهر، وطغى الماء على القسم الأكبر من المدينة وإذ ذاك أسرع حوالي خمسة عشر ألف من السكان إلى الفناء، بينهم العديد من المصابين بالطاعون ذاته، ومن الأطفال وأناس من مختلف الأعمار. لقد كان بين هؤلاء القتلى بالفيضان عدد كبير من الذين أنقذوا حياة من يحبون من المرض... والى ان هبط مستوى الماء بعد أول زحف له، كان العدد الأكبر من البيوت قد تداعى، ليعقبها انهيار أسسها بعد ساعات... وكنت أنام في القسم العلوي من الدار التي اسكنها، عندما هجم الفيضان، فأيقظني صوت المياه وهي تضرب جدران المنزل... استطعت ان أرى جملة أجسام تجرفها المياه المتدفقة التي اكتسحتها بصمت فراحت تطفو وسط الماء بملابسها البيضاء)) ٤٤.

وفي أواخر الأسبوع الأول من أيار ١٨٣١ زال خطر الطاعون والفيضان أيضا عن المدينة ومنع تجمع الأهالي في أماكن واحدة خشية عليهم من الإصابة بالمرض. ولكن أوضاع المدينة كانت مزرية للغاية اذ كانت الجثث تنتشر في الشوارع تغطيها أوحال مياه الفيضان وتنهشها الكلاب، ونظرا للإجراءات التي اتخذتها الحكومة والأهالي فقد بدأت الأوضاع تتحسن نسبيا داخل المدينة في أواخر الشهر المذكور ورفعت الجثث من الشوارع ودفن بعضها والقي البعض الأخر في النهر، وتم جمع الحيوانات الهاربة وبيعت المواد الغذائية في أسواق المدينة وتعالت أصوات المؤذنين في الجوامع٤٥.

لقد ادى تفشي مرض الطاعون الى آثار وخيمة على أوضاع بغداد وأهلها، كما كانت أثاره كبيرة على عدم قدرة المدينة في الصمود أمام قوات علي رضا باشا. وكانت من العوامل التي مهدت الطريق لتلك القوات ومكنتها من السيطرة على بغداد، فقد أدى نقصان عدد السكان٤٦ بسبب الطاعون الى فقدان المدينة للقوة المطلوبة في الدفاع عنها إضافة إلى الآثار البشرية والمادية التي تركها الفيضان على المدينة وسكانها٤٧.

أمر علي رضا باشا قواته بمهاجمة المدينة بعد ان ضرب الحصار عليها الا ان القوات المتحصنة في داخلها تصدت لتلك القوات ودارت المعارك سجالا بين الطرفين واقترح قائد قوات داود باشا "الجنرال ديفو" القيام بهجوم مباغت ليلا على قوات علي رضا باشا لان الأوضاع في المدينة لم تعد لصالح المتحصنين بسبب انتشار مرض الطاعون وقلة المؤن وناقش هذا الموضوع مع بعض وجهاء المدينة الا انه لم يلق تأييدا من قبل الجميع، فقد اعترض القائم مقام "درويش أغا" على ذلك ولم يتوصل إلى اتفاق مع كل من "الحاج صالح بك" و"الحاج عمر الراوي"، وهما من وجهاء المدينة، وبين درويش أغا لهما ان

مهاجمة قوات علي رضا باشا سيجعل السلطان يعد أهالي بغداد خارجين عن طاعته ولا يعد ذلك من قبيل الدفاع عن مدينتهم، إضافة إلى ذلك فأنه بين لهم خشيته من تعرض بغداد لهجوم من قبل بلاد فارس، إذا ما حاول استغلال الأوضاع غير المستقرة التي كانت تمر بها المدينة٤٨. كما ان صالح بك وهو من الشخصيات المملوكية المعروفة في بغداد وأحد المطالبين بالولاية حث أنصاره على عدم مقاومة القوات العثمانية. لانه اعتقد ان ذلك ربما سيمنحه فرصة للحصول على الولاية، اذا ما اثبت إخلاصه للسلطان في مثل تلك الظروف. أما علي رضا باشا فقد أدرك ان السيطرة على بغداد لا تتم بالقوة وحدها لذلك لجأ إلى استخدام الخديعة وبعث إلى وجهاء بغداد برسالة طالبهم فيها إجراء مباحثات بين الطرفين وقد وافق وجهاء المدينة على ذلك وأرسلوا مندوبين عنهم إلى التفاوض وقد تمت المفاوضات بين الجانبين وناب عن علي رضا باشا احد المقربين منه المدعو "حمدي بك" وأثناء المفاوضات أوضح حمدي بك إلى وجهاء المدينة الصلاحيات التي منحها السلطان إلى علي رضا باشا والمهام التي أوكلها إليه، وحذرهم من الاستمرار بالمقاومة. وبين لهم ان السلطان قد رفض الالتماس الذي تقدموا به إليه، وأن القوات العثمانية عاقدة العزم على اجتياح المدينة٤٩. وكان علي رضا باشا يدرك ان السيطرة على بغداد ليست بالمهمة السهلة، لا سيما وان لدى داود باشا جيش مدرب ويسانده معظم أهالي المدينة٥٠.

كانت من نتائج المفاوضات التي تمت بين وجهاء المدينة وبين مندوب علي رضا باشا حدوث انقسام في الرأي بين وجهاء المدينة على قضية الاستمرار بالمقاومة ام السماح للقوات العثمانية بدخول المدينة، فقد اعتقد المعارضون لدخول تلك القوات ان بغداد ستتعرض للدمار والنهب إذا ما دخلت إليها القوات العثمانية لذلك حثوا أنصارهم على إقامة المتاريس داخل الأحياء وفي مداخل الشوارع أيضا استعدادا للمقاومة وقد أدت الإجراءات التي اتخذها هؤلاء إلى تدمير بعض سقوف المنازل والحوانيت اثر استخدام المواد التي تحتويها من أخشاب وأحجار لغرض إقامة المتاريس. كما سادت الفوضى في المدينة، اثر اتخاذ تلك الإجراءات الدفاعية٥١. وفي ليلة ١٧ أيلول ١٨٣١ دخلت قوات علي رضا باشا إلى بغداد بعد ان تم فتح الباب الشرقي لها من داخل المدينة على يد بعض المؤيدين إلى دخول القوات العثمانية للمدينة بسبب الآثار التي تركتها المجاعة والطاعون على الأهالي وبذلك نجح علي رضا باشا باقتحام المدينة بعد حصار دام حوالي ثلاثة أشهر٥٢. وقد استولت تلك القوات على معظم المدينة في اليوم الأول من دخولها باستثناء بعض المناطق التي قاومت لليوم التالي. وبعد ان انتهت المقاومة وأستتب الوضع وفرضت القوات العثمانية سيطرتها على المدينة استسلم داود باشا الى علي رضا باشا وقد استقبله الأخير خير استقبال ورحب به ومنحه الأمان. وبعثه إلى اسطمبول برفقة عائلته وخصص حرس خاص لهم وبعث معهم برسالة إلى الحكومة العثمانية التمس فيها الصفح عنهم. وقد كان داود باشا آنذاك كبير السن وذو ثقافة كبيرة ولعل علي رضا باشا قد اخذ تلك الأمور بنظر الاعتبار إضافة إلى ذلك فأن علي رضا باشا كان من المهتمين بنشر الثقافة والعلم وكان داود باشا قد أولى اهتمام كبير بالحركة العلمية والثقافية أثناء سنوات ولايته في بغداد وهذا ما يتفق عليه معظم المؤرخون٥٣ الذين تناولوا هذه الأحداث٥٤. الا إننا نستبعد ان تكون تلك الأسباب فقط هي التي دفعت علي رضا باشا للعفو عن داود باشا لا سيما وان الحكومة العثمانية كانت تتخذ إجراءات حازمة ضد من يخرج عن سلطتها. وعلى ما يبدو فأن دخول القوات

العثمانية الى بغداد كان بموافقة داود باشا، ان لم يكن بمساعدة منه. وذلك الاحتمال أكثر توافقا في تبرير السياسة التي اتبعها علي رضا باشا ومن ثم السلطان محمود الثاني مع داود باشا من تقدير واحترام ومن ثم منحه بعض المناصب٥٥ المهمة في الدولة.

قرر علي رضا باشا بعد سيطرته على بغداد القضاء على المماليك ودبر لهم مكيدة لأجل ذلك ودعاهم الى حضور اجتماع عام، وعندما تجمعوا انقضت عليهم عساكره وقتلتهم بلا رحمة ٥٦وتم قتل العديد منهم حتى الذين وقفوا الى جانبه لم يسلموا من عقابه، فقد كان علي رضا باشا قد تلقى أوامر من الحكومة العثمانية بالقضاء على المماليك ومصادرة أموالهم وجعلها ملك للدولة لذلك انتدب لمساعدته في أداء تلك المهمة احد الخبراء العثمانيين المدعو "عارف أفندي الدفتري" الذي وصل إلى بغداد من اسطمبول بناءً على تكليفه من الحكومة العثمانية لأداء تلك المهمة وقد استقبل الدفتري خير استقبال من الوالي الجديد"علي رضا باشا" بعد وصوله الى بغداد. وعندما بدأ عمله وجد ان السجلات التي تحتوي على جرد بالممتلكات العامة والخاصة في الولاية قد تم إحراقها وأن معظم ثروة وممتلكات داود باشا قد تعرضت للنهب والسلب أثناء الفوضى التي شهدتها المدينة قبيل دخول القوات العثمانية لها ومع ذلك تم مصادرة الأموال التي حصل عليها الوالي الجديد من المماليك وأرسلت إلى الحكومة العثمانية في اسطمبول. وقد عانى علي رضا باشا بعد فترة من صعوبة كبيرة في الحصول على الأموال اللازمة لإنفاقها على الولاية، حتى انه أصبح عاجزا، في بعض الأحيان، عن منح رواتب الجند والموظفين. لذلك اتبع أقسى الوسائل مع اسر المماليك وذويهم من اجل الحصول على الأموال التي بحوزتهم ولم يسلم من التعذيب حتى النساء والأطفال وهذه السياسة جعلت أهالي بغداد يتذمرون من الوالي الجديد لذلك أعلنوا الثورة عليه في ٢٩ أيار ١٨٣٢ بزعامة مفتي بغداد الشيخ عبد الغني جميل٥٧ الذي شجع الأهالي على المطالبة بحقوقهم٥٨ وهاجم الثوار سراي الوالي وقتلوا الحرس الذي حاول اعتراضهم ثم قاموا بمهاجمة منزل الوالي وحاولوا إخراجه منه الا ان القوات الحكومية تمكنت من القضاء على الثورة مستخدمة في ذلك أبشع الوسائل ضد الثوار، بل قامت بضرب بعض الأحياء بالمدفعية ومنها "محلة قنبر علي"، الواقعة بجانب الرصافة بالقرب من "شارع الكفاح" حاليا، التي يوجد فيها منزل المفتي مما أدى الى احتراقه كما أحرقت أيضا العديد من المنازل الأخرى في المنطقة المذكورة، والمناطق الأخرى التي أبدت مقاومة لقوات الوالي. وبينما كانت تلك الأحداث تجري داخل المدينة قام أبناء العشائر بمحاصرتها تلبية لدعوة المفتي في دعم الثورة ضد الوالي. ولكن بعد ان اضطر المفتي إلى الاستسلام سيطرت قوات الحكومة على الوضع داخل المدينة. اما خارج المدينة فقد كان أبناء العشائر متحصنين في أماكنهم استعدادا للهجوم عليها، وهذا الوضع جعل المقيم البريطاني في بغداد روبرت تايلور يتدخل بالموضوع، وتوسط لدى شيوخ العشائر من اجل سحب قواتهم. وتم ذلك بعد ان أقنعهم بأن من الأفضل تقديم شكوى للسلطان العثماني لتغيير الوالي بدلا عن استخدام القوة. ووعدهم ببذل مساعيه من اجل تغيير الوالي وتولية "بكر بك الكركوكلي" متسلم البصرة آنذاك، وهو الشخص الذي كان شيوخ العشائر يطالبون بتعيينه واليا على بغداد بدلا عن علي رضا باشا. وبعد تلك الأحداث تم العفو عن المفتي ورحل إلى الشام٦٠

الخاتمة:

بعد دراسة أسباب سقوط حكم المماليك في العراق عام ١٨٣١ تم التوصل إلى أهم النتائج الآتية:

١- سعى السلطان العثماني محمود الثاني بعد توليه الحكم إلى إعادة الحكم المباشر على بعض الولايات العثمانية، التي أصبحت شبه مستقلة عن سيادة الحكومة العثمانية المركزية، وكانت بغداد من بين تلك الولايات، لذلك قرر إسقاط حكم المماليك فيها وإعادة الحكم العثماني المباشر عليها ومما حفزه على ذلك عدم استجابة والي بغداد (داود باشا) إلى أوامره.

واجهت بغداد في الفترة ما بين(١٨٣٠-١٨٣١) أوضاع سياسية حرجة للغاية بسبب محاصرتها من قبل القوات العثمانية لمدة ثلاثة أشهر تقريبا. وحدث اختلاف بين أهالي المدينة في موقفهم من الإجراء الواجب إتباعه تجاه تلك القوات. وبينما قرر البعض من وجهاء المدينة مقاومتها طالب آخرون بالسماح لها بدخول المدينة. وفي الوقت الذي لم يتفق الأهالي على موقف موحد كانت قوات داود باشا غير قادرة على مواجهة الموقف بسبب الحصار، وقلة الأسلحة والذخيرة، وانهيار الروح المعنوية للمقاتلين. لا سيما بعد تفشي مرض الطاعون وفيضان نهر دجلة وحدوث المجاعة. وهذه الأوضاع أدت إلى هلاك الكثير من السكان من جهة وصبت في صالح القوات العثمانية وسهلت مهمتها في سيطرتها على بغداد وإسقاط الحكم المملوكي من جهة اخرى.

٣- كانت قوات الحملة العثمانية بقيادة علي رضا باشا اللاز أكثر استعدادا من قوات داود باشا من الناحية العسكرية وقد كانت تمتلك أسلحة وذخيرة أفضل وأكثر مما تمتلكه قوات والي بغداد، وهذا ساهم بشكل كبير في ارتفاع الروح المعنوية للمقاتلين العثمانيين. لا سيما وأنهم كانوا يمثلون قوات السلطان، في الوقت الذي كان يعد فيه كل شخص لا يلتزم بأوامر السلطان خارج عن طاعته ويستحق العقاب ليس من وجهة نظر الحكومة المركزية فحسب بل ومن وجهة نظر جميع الولاة الذين يحكمون ولايات الدولة. ولعل مشاركة والي الموصل ووالي حلب في الحملة على بغداد خير دليل على ذلك.

تعرضت بغداد إلى كارثة فيضان نهر دجلة، في الوقت الذي كانت القوات العثمانية تحاصرها من الخارج، والطاعون يفتك بسكانها من الداخل، مما أدى إلى غرق ودمار حوالي سبعة ألاف منزل، وموت العديد من السكان. وهذه الكارثة الطبيعية خدمت القوات العثمانية بشكل غير مباشر عن طريق إضعاف القوات الموجودة في داخل المدينة.

شهدت بغداد في أثناء محاصرتها من قبل القوات العثمانية حالة من الفوضى وعدم الاستقرار الأمني. وانتشرت الجريمة في المدينة المنكوبة واستغل بعض اللصوص خلو معظم المنازل من سكانها وقاموا بسرقتها، بل وقاموا أيضا بقتل بعض الأهالي في منازلهم. وهذه الأوضاع جعلت معظم الأهالي الموجودين في المدينة يطالبون بدخول القوات العثمانية لها من اجل إنقاذهم. وهذا صب في صالح القوات العثمانية التي كانت تحاصر المدينة.

٦- أدى ظهور مرض الطاعون في بغداد عام ١٨٣٠ وانتشاره فيها إلى عواقب وخيمة على الأهالي ومات العديد منهم. وغادر الكثير من الأهالي إلى المناطق المجاورة، ومات معظم الذين بقوا في المدينة. وكان لتلك الأوضاع أثارا وخيمة على قدرة المدينة في الصمود أمام القوات العثمانية.

٧- من خلال دراسة أوضاع بغداد أثناء محاصرتها من قبل القوات العثمانية وموقف داود باشا والسياسة التي اتخذها في أثناء الحصار نلاحظ ان دخول القوات العثمانية الى المدينة، ان لم يكن بمساعدة داود باشا فان ذلك تم بموافقته. ومما يدل على ذلك عدم اتخاذ داود باشا إجراءات فعالة لمواجهة الحملة العثمانية قبل وصولها الى بغداد ومحاصرتها، ولم يتخذ التدابير المطلوبة لمعالجة الأزمات التي حلت بالمدينة ومنها انتشار

الطاعون والفيضان وفقدان الأمن. ومما يدل على ذلك المعاملة الحسنة التي عامله بها علي رضا باشا اللاز بعد سيطرته على بغداد وترحيله مع عائلته مصحوبا بالحرس الخاص الى السلطان العثماني والذي لم يعاقبه، كما هو متبع مع الخارجين عن السلطة، بل أكرمه ومنحه بعض المناصب المهمة في الدولة.

الهوامش:

() ولد داود باشا في تفليس عام ١٧٧٤ وكان مسيحيا من أطفال الكرج، وتم بيعه مرات عدة، وفي العراق اشتراه احد التجار عام ١٧٨٤ و باعه إلى الوالي سليمان باشا الكبير. وكان داود ذو شخصية قوية إضافة الى انه كان يجيد التحدث بالعربية، والفارسية، والتركية، ونظرا للمؤهلات التي كانت لديه وإخلاصه لسيده فقد زوجه الوالي ابنته الصغرى بعد ان اسند إليه منصب الخازندار. للمزيد من التفاصيل انظر: نوار، عبد العزيز سليمان، داود باشا والي بغداد، ط١، القاهرة، ١٩٦٨، ص ص ٤١-١٩٩.

(2) نورس، علاء موسى كاظم، حكم المماليك في العراق ١٧٥٠-١٨٣١، ط١، بغداد، ١٩٧٥، ص ص ٣٠-٣٣.

(3) الانكشارية: صنف من أصناف القوات العسكرية العثمانية واهتم تم تأسيسه في عهد السلطان أورخان وكان أفراد قوات الانكشارية يتم اختيارهم من بين أبناء المناطق التي كان العثمانيون يسيطرون عليها بعد ان يخضعوا لتدريب خاص. ويطلق على قائد قوات الانكشارية اسم (أغا الانكشارية) وكان في كل ولاية حامية للانكشارية تتولى عملية حفظ الأمن بالإضافة إلى المشاركة في حملات الوالي العسكرية عندما يتطلب الأمر ذلك وقد قسمت الانكشارية في الدولة العثمانية إلى (١٩٦) فرقة تسمى كل وحدة منها بـ(أورطة). وقد لعب الانكشارية في الفترة ما بين(١٣٢٦-١٥٦٦)دوراً مهما في تعزيز قوة الجيش العثماني. انظر: الخيقاني، حيدر صبري شاكر، دراسة في نشوء ونمو وتوسع الدولة العثمانية في ظل الأوضاع الدولية السائدة حتى عام ١٥٦٦، مجلة جامعة كربلاء، العدد الخامس- كانون الاول ٢٠٠٣، ص ٢١٠.

(4) نورس، المصدر السابق، ص ١١٧

(5) لوريمر، ج.ج. دليل الخليج"القسم التاريخي،ج٤، ترجمة قسم الترجمة بمكتب أمير دولة قطر ط١، قطر، (د.ت.)، ص ص ١٨٨٢- ١٨٩٢؛ نوار، داود باشا، ص ٢٨٥.

(6) السلطان محمود الثاني(١٧٨٥-١٨٣٩): تولى الحكم في الدولة العثمانية خلال الفترة ما بين(١٨٠٨-١٨٣٩)، بعد أخيه السلطان مصطفى الرابع، أجرى العديد من الإصلاحات في الدولة وقضى على القوات الانكشارية وأسس جيشاً جديداً، وكانت من أهم الأحداث التي شهدها عهده على الصعيد الخارجي دخول بلاده الحرب مع روسيا(١٨٠٩-١٨١٢)، والحرب مع إيران (١٨٢١-١٨٢٣). للمزيد من التفاصيل انظر: اوزتونا، يلماز، تاريخ الدولة العثمانية، ترجمة عدنان محمود سلمان، مج١، ط١، تركيا، ١٩٨٨، ص ص ٦٦٤-٦٧٨.

(7) عز الدين، يوسف، داود باشا ونهاية المماليك في العراق، ط١، بغداد، ١٩٦٧، ص ٢٨-٣١.

(8) نابليون بونابرت Napoleon Bonaparte (١٧٩٦-١٨٢١): إمبراطور فرنسا (١٨٠٤-١٨١٥) ولد عام ١٧٦٩ في كورسيكا Corsica، شارك بشكل فعال بعد الثورة الفرنسية في طرد القوات البريطانية من طولون عام ١٧٩٣ ، قاد الحملة الفرنسية على مصر عام ١٧٩٨، أصبح قنصل اول(١٧٩٩-١٨٠٤) وإمبراطورا منذ عام ١٨٠٤، انتصر على القوات المتحالفة ضد فرنسا في العديد من

المعارك خلال الفترة (١٧٩٦-١٨١٢) تم هزيمته في معركة الأمم عام ١٨١٣ ومن ثم في واترلو عام ١٨١٥. نفي الى جزيرة سانت هيلانة بعد معركة واترلو ومات هناك. للمزيد من التفاصيل انظر:
- Fisher, Herbert, Napoleon, London, 1916, PP. 28-250.

(9) عز الدين، المصدر السابق، ص ٣٧.
(10) المصدر نفسه، ص ٣٨-٤٠.
(11)نوار،داود باشا،ص ٢٩٩-٣٠٠.
(12) عز الدين، ص ٣٨-٤٠.
(13) نوار، داود باشا، ص ٣٠٩.
(14) عز الدين، ص ٤٤-٤٥.
(15)نوار،داود باشا، ص ص ٢٨٨-٢٨٩.
(16) المصدر نفسه، ص ٢٨٥.
(17) المصدر نفسه، ص ٢٨٩.
(18) المصدر نفسه، ص ص ٢٩٧-٣٠١.
(١٩) المصدر نفسه، ص ص ٣٠١-٣٠٢.
(٢٠) المصدر نفسه، ص ٢٩٨.
(٢١) الجميل، سيار كوكب علي، تكوين العرب الحديث ١٥١٦-١٩١٦، ط١، الموصل، ١٩٩١، ص٣٣٦.
(٢٢) الدسوقي، محمد كمال، الدولة العثمانية والمسألة الشرقية، ط١، القاهرة، ١٩٧٦، ص ص ١٠٩-١١١.
(٢٣) بروكلمان، كارل، تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي، ط ٨، بيروت، ١٩٧٩، ص ص ٥٤٠-٥٤١.
(٢٤) حوراني، البرت، تاريخ الشعوب العربية، ترجمة اسعد صقر، ط١، دمشق، ١٩٩٧، ص ٣٣٩.
(٢٥)اتينجر،صموئيل، اليهود في البلدان الإسلامية ١٨٥٠-١٩٥٠، ترجمة جمال احمد الرفاعي، ط١، الكويت، ١٩٩٥، ص ١٩٦.
(٢٦) عمر، عمر عبد العزيز، تاريخ المشرق العربي ١٥١٦-١٩٢٢، ط١، بيروت، ١٩٨٤، ص ٣٩٠.
(٢٧) الوردي، علي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، ج١(من بداية العهد العثماني حتى منتصف القرن التاسع عشر)، ط١، بغداد،(د.ت.)، ص ٢٦٦.
(٢٨) الخياط، جعفر، صور من تاريخ العراق في العصور المظلمة، ط١، بغداد، ١٩٧١، ص ص ٢٩١-٢٩٣.
(٢٩)علي رضا باشا اللاز: قائد عسكري ورجل دولة عثماني ولد في طرابزون، تولى العديد من المناصب العسكرية والوظائف الإدارية في الدولة العثمانية، فقد عمل في شبابه موظفا في جمرك أزمير ومتسلما في مغنيسا، ، وفي عام ١٨٨٢ عمل كتخدا مع والي حلب، وأصبح واليا على العديد من الولايات العثمانية ومنها حلب، وبغداد، وديار بكر، وجدة. توفى في الشام عام ١٨٤٥. انظر: قايا، ديلك، كربلاء في الأرشيف العثماني دراسة وثائقية ١٨٤٠-١٨٧٦، ترجمة حازم سعيد منتصر ومصطفى زهران، ط١، بيروت، ٢٠٠٨، ص ٣٩.
(٣٠) نوار، عبد العزيز سليمان، تاريخ العراق الحديث من نهاية حكم داود باشا إلى نهاية حكم مدحت باشا، ط١، القاهرة، ١٩٦٨، ص ٣٣.
(٣١) المصدر نفسه، ص ٣٥.
(٣٢) المصدر نفسه، ص ٣٥.
(٣٣) المصدر نفسه، ص ٣٦.
(٣٤) نوار، تاريخ ، ص ٣٦.
(٣٥) كان اليهود في القرن التاسع عشر يتواجدون في العديد من مدن العراق وقد قدر عددهم في بغداد مطلع القرن التاسع عشر بحوالي(٢٥٠٠) أسرة يهودية تضم زهاء (٨٠٠٠) نسمة، وكان في السليمانية (١٨٠٠) يهودي، وفي ماردين(٨٠٠) وكانوا في كل مدينة يتواجدون بها يعيشون في احياء خاصة بهم وكانوا في الغالب يشتغلون في الأعمال المصرفية والتجارية ويتحدثون بالعربية ويكتبون بالعبرية. انظر: الشناوي، عبد العزيز محمد، الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها،ج٢، ط١، القاهرة،١٩٨٠، ص ٨١٩.
(٣٦) العمري، سعاد هادي، بغداد كما وصفها السواح الأجانب، ط١، بغداد، ١٩٥٤، ص ٦٦.
(٣٧) لونكريك، ستيفن هيمسلي، أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث، ترجمة جعفر الخياط ، ط٦، بغداد،١٩٨٥ ص ص ٣١٩-٣٢٠.
(٣٨) نوار، داود باشا، ص٢٦٠.

(٣٩) ولستيد، جيمس ريموند، "رحلة إلى بغداد في عهد الوالي داود باشا، ترجمة سليم طه التكريتي، ط١، بغداد، ١٩٨٤، ص ص ١٠١-١٠٣.
(٤٠) ولستيد، المصدر السابق، ص ص ١٠١- ١٠٢.
(٤١) المصدر نفسه، ص ١٠٤.
(٤٢) المصدر نفسه، ص ١٠٥، ص ١٠٩.
(٤٣) المصدر نفسه، ص ص ١٠٨-١٠٩.
(٤٤) المصدر نفسه، ص ص ١١٠-١٠١.
(٤٥) لونكريك، المصدر السابق، ص ص ٣١٩-٣٢١.
(٤٦) لا توجد هناك إحصائية دقيقة عن عدد سكان بغداد قبيل ظهور وانتشار مرض الطاعون في بغداد عام ١٨٣٠ وحتى السياح الأجانب الذين زاروا المدينة في عهد المماليك لم يتفقوا على عدد محدد في تقديراتهم لعدد السكان، كما انهم لم يتفقوا في تقديراتهم على عدد الذين ماتوا بسبب الطاعون والفيضان. فقد ذكر المبشر انتوني كروفس في مذكراته ان أكثر من نصف سكان المدينة قد هلكوا خلال مدة اقل من شهرين. ويذكر الرحالة ولستيد ان عدد سكان بغداد قد انخفض بسبب الطاعون والفيضان من (١٥٠٠٠٠) الى (٢٠٠٠٠) نسمة. وعندما زار السائح البريطاني فريزر مدينة بغداد عام ١٨٣٤ قدر عدد سكانها بحوالي(١٥٠٠٠) قبل عام ١٨٣٠ و(٨٠٠٠٠) في السنة التي زارها فيها. انظر: نورس، المصدر السابق، ص ١٣٧.
(٤٧) العزاوي، عباس، تاريخ العراق بين احتلالين(حكومة المماليك من سنة ١٧٤٩-١٨٣١)، ج٦، ط١، بغداد، ١٩٤٩، ص ٣٥٥؛ نورس، المصدر السابق، ص ١٣٢.
(٤٨) العزاوي، المصدر السابق، ج٦، ص ٣٦٢.
(٤٩) نوار، تاريخ العراق ،صص ٣٧-٣٨.
(٥٠) الخياط، المصدر السابق، ص ٢٩٤.
(٥١) نوار، تاريخ العراق ، ص ٣٩.
(٥٢) رافق، عبد الكريم، العرب والعثمانيون ١٥١٦-١٩١٦)، ط١، دمشق، ١٩٧١، ص ٣٣٣.
(٥٣) للمزيد من التفاصيل عن اهتمام داود باشا بالحركة العلمية انظر: نوار، داود باشا ، المصدر السابق ص ٩٥-٢١٢؛ نورس، المصدر السابق، ص ص ١٤٠-١٤٤.
(٥٤) نوار، تاريخ ، ص ٣٩.
(٥٥) وصل داود باشا إلى اسطمبول بصحبة عائلته والحرس الذي رافقه من بغداد وهناك استقبله السلطان العثماني خير استقبال وأكرمه، وحاول فيما بعد الاستفادة من خبرته لذلك ولاه على البوسنة وبقي بهذا المنصب في الفترة ما بين(١٨٣٣-١٨٣٥) ثم أوكل أليه برئاسة مجلس الشورى عام ١٨٣٨ ومن ثم ولاه على انقره وبعد ان عزل عن هذا المنصب عام ١٨٤٠ التمس من السلطان في ان يجعله يتولى مشيخة الحرم النبوي الشريف فوافق السلطان على ذلك وبقي داود بالمدينة المنورة حتى توفى هناك عام ١٨٥٠ ودفن بالبقيع. التكريتي، سليم طه، هامش ذكره في كتاب "رحلة إلى بغداد في عهد الوالي داود باشا" الذي قام بترجمته وهو من تأليف "جيمس ريموند ولستيد"، ط١، بغداد، ١٩٨٤، ص ١١٦.
(٥٦) عز الدين، المصدر السابق، ص ٥٢.
(٥٧) عبد الغني جميل(١٧٨٠-١٨٦٣): مفتي بغداد وابرز وجهائها في عهد داود باشا وعهد علي رضا باشا اللاز. ولد في بغداد عام ١٧٨٠ من عائلة تهتم بالعلم والثقافة. نال قسط جيد من التعليم، وتقلد العديد من الوظائف بولاية بغداد. لعب دورا متميزا في اعلان الثورة على حكم علي رضا باشا اللاز عام ١٨٣٢ حتى ان البعض أطلق عليها اسم "ثورة عبد الغني جميل".
(٥٨) نوار، تاريخ العراق ، ص ٣٩.
(٥٩) الخياط، المصدر السابق، ص ٢٩٥-٢٩٧.